

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراس نزيل مرسيليا
(تمة ما في الاجزاء السابقة)

هذا في امر العرام وما يصدر عنه من الخطايا اليسيرة والهفات والترهات
الزهيدة فان تجاوز الولد ذلك الى حد الغلظة او ارتكب خطيئة لا يُستطاع ان
يُقام عليه من اجلها حدٌ طبيعي من جنسها فثم ذرائع اخرى لاقامة الحد عليه
يحاكى فيها فعل الطبيعة على قدر الامكان ويزكن منها ان غلظته هي التي اوجبت
قصاصه وان هذا القصاص عاقبة تلك الغلظة . ان اطال لسانه اورفع يده على
احد فاجلته ولو بالقهر ان يعتذر الى من اخطأ في حقه ويستغفره ثم باعده مدة
ليزكن ان فعلته تلك هي التي جنت عليه ما يراه من امتعاضك وسخطك فانه
ان كان يحبك كما ينبغي لتيقنه في غير ذلك من الاحوال انك تحبه وتنصح له
وتحذره سوء العواقب وتدفع عنه الموبقات كانت مباحثتك آياه وموجدتك
عليه في هذه الحال اشد مضضاً عليه وانجم فيه من تأديبك آياه بالضرب
فان ارتكب خطايا اعظم من هذه وترقى مثلاً الى اقتراف ذنب
السرقه فعاقبه اولاً بالمقاب الطبيعي اي ألجئه الى رد السرقه او تعويضها من
ماله ان كان له مال او كنت تعطيه فلوساً من وقت الى وقت ليذخرها كما
جرت عادة بعض الآباء ثم اقم عليه ثانياً الحد الاصطناعي اي عزره وآبه
وباعده او احبسه في حجرته مدة ما . فان عاود الجريمة فزده التأديب بالضرب
ايضاً ولكن لا تضربه ضرباً مبرحاً من غير ضرورة بل اجعل التعاصص على
مقدار ذنبه لا على مقدار سخطك . فان ارتكب خطايا يُخشى ان تفضي عواقبها
الى هلكته او الاضرار بجسمه اي ان لعب بالسلاح او حاول القفز من شاهق

او هم بتناول شيء سامٍ او تصدّى لغير ذلك من الافعال التي عاقبتها اعني عقوبة الطبيعة عليها ذات خطرٍ على حياته فخره سوء العقبى منها ومرة بالكف عنها فان لم يرعو ولم ينته تمين عليك حينئذ ان تكف عنها بالقوة الجبرية اما الشوائب والعيوب الطبيعية فقد ذكرنا في اول هذا الفصل ان طريقة اصلاحها حمل الولد بالرفق والملاينة على الاقلاع عنها بملازمة المناقب التي تضادها فلا حاجة الى الاعداء

وكل الامثلة المتقدمة تدلك على الطريقة التي يجب عليك ان تتخذها في تقيم سيرة الاولاد وتدميث اخلاقهم ومماقبتهم على الخطأ وحلمهم على الاقلاع عن العادات الذميمة قس عليها نظائرها ولكن لا تستنج ان في ذلك علاجاً فعلاً لا يكذب في حال من الاحوال . فلمعري ان بعض الخلال المستهجنة قد تكون موروثه من الآباء بل من الجدود فيتعذر اصلاحها حتى لا تقول يستحيل وبعضها وان لم تكن موروثه قد يحول دون اصلاحها حائل طبيعي من بنية الولد او من مزاجه . وكثيراً ما نشاهد اولاداً تساوى شروط تربيتهم وتفاوت مع ذلك اخلاقهم لتلك العلة وقصارى ما يستطيعه المربي في هذا الموطن هو ان يقوي ما ركز في جيلة الولد من جرائم الصلاح بقدر الطاقة اعلمها تغلب علي ما فيه من جرائم الطلاح

ثم انه من المحال ان تترقب ان يكون الولد اليافع او ابن العشرين كاملاً في خلقه وخلقه كالكلب او ابن الستين وهب ان ذلك ممكن فلا تمنه بل اقنع بما تيسر لان الولد الذي يبلغ من درجة الكمال ما يبلغه الكهل الخنك هو بمنزلة الولد الذي تشب قامته قبل الوقت فانه كثيراً ما يموت مختصراً وان عاش عاش سقيماً وكذلك الولد الذي يسرع نضج ذهنه قبل ابانه فانه يفرغ ما

في وطابه وهو حدث ثم يقف

وبعد هذا وذاك فلا ترج ان يبلغ حد الكمال المطلق احد من الناس
لان ذلك غير ممكن في ايماننا هذه

واعلم بانك ان اردت مهذباً رمت الشطط

❦ الخاتمة ❦

قال احد للفلاسفة ان فطرة الولد مركبة من متضادات لا تفر عن
اثارة معترك بين نفسه وجسده وان شئت قلت بين ما فيه من صفات الملك
وصفات الحيوان او الطبائع السماوية والطبائع الارضية. وان احدى جهتي هاتين
لا تزال راجحة تارة ومرجوحة اخرى حتى اذا تطلبت احدهما على الاخرى
تغلبا يتنا رسخ هو اما في الصلاح واما في الطلاح رسوخاً نهائياً وانبت سائر
افعاله بعد ذلك على الركن الذي رسخ عليه وان غاية التربية ان تظاهر جهة
الصلاح حتى يكون لها الغلب على جهة الطلاح

وقال آخر ان غرائزه الحيوانية هي التي تستولي عليه في اول الامر
وتصدّه عن ان يشعر بشيء غير ما يقع تحت حواسه بحيث لا يدرك سوى
المحسوسات المادية وفيها تجول خواطره الآخذة في النشوء بحثاً واستقصاء حتى
لا يرى في غيرها علّة ولا معلولاً وتكون له هي غاية المنى ومتهى السؤل
ولكن اذا اعانت التربية فانبلج له صبح العقل وتمزقت عنه غياهب الجهل واستنارت
قوى نفسه بعد ان كانت في ظلمة مدلمة انعكس الامر فشطط هو من عقال
المادة وتأتى له ان يدرك المقولات واصبح يفهم معنى وجوده في عالم الانسانية
بل ان ما كان يخيل له قيل ذلك ان به لا بسواه قوام هذا الوجود رآه بنظر
العقل غير ما كان يتوهمه وتيقن انه لم يكن بالاضافة الى الحقيقة الا كالتقشر

بالإضافة الى اللب وانه هو نفسه كان منخدعاً بجلم باطل او خيال زائل
وقال ثالث ان الانسان الذي تغلب اخلاقه الخسيسة على الشريفة
يكون منحطاً في درجة الانسانية وان الذي يستولي عليه الهوى لا يبقى له هدى
وان الذي تسترقه الشهوات يُحجَب عن نفسه نور العقل حتى تنفس في الظلام
فاذا زحزحت التربية ذاك الحجاب الكثيف بزغ العقل على نفسه كما تبرغ الشمس
على الدنيا من وراء الغمام وتبر ما كنيها بنور لا يخجول ولا يتقطع الا عن
يحول عنه وجهه وتلاشي الهوى كما يتلاشي الشهاب الذي يسطع في الليل طريقة
عين ثم يغيب فلا يعرف من اين اتى ولا الى اين مضى ولا يدري له حركة
مطرودة ولا اسيره اتجاه معلوم

وقالوا جميعاً ان من تغيى التربية من تغلب هواه على عقله ومن رجحان
صفاته الحيوانية على صفاته الانسانية يتسنى له ان يجمع شهواته كافة او يمدّها
بحيث لا يبقى معها عبداً للخوف الكاذب ولا زبوناً للامل الخائب ولا يحمض حسد
الحساد ولا ينجسه الحزن ولا يستطيعه الفرح بل يسير بسكينة في سيل العمر وهو
غير مبال بالوجدان ولا مكترث بالحرمات كما تسير الشمس في مدارها ولا تبالي
بالريح عصف ام ركبت ولا تعبا بالغيوم تراكت ام اقتشعت . انتهى

العرب

(تابع لما قبل)

اما صفات الأعراب الادبية فلم تتغير عما كانت عليه في زمن جاهليتهم
قد واقفوا الوحش في سكنى مراتها وخالفوها بتقويض وتنقيب
فهم كما تقدم قبائل ظعن غزاة تضرب في اليد اتجاهاً لموارد الكلا وارتباداً